

رحلتى إلى باكستان

استمرت لمدة أسبوع ، وكانت أساسا فى العاصمة إسلام آباد . أما المناسبة فكانت المشاركة فى مؤتمر علمى وثقافى فى جامعة إسلام آباد العالمية . كانت الرحلة مرهقة جدا بسبب الانتظار فى مطار دبی أكثر من عشر ساعات ، وحين وصلت أوصلونى إلى الفندق ولم أتبین شيئا إلما فى الصباح . الجو حار جدا والشمس ساطعة وساخنة لكن المدينة التى تتكون من فلل جديدة وأنيقة ومتشابهة فى معظمها تتناثر داخل غابة من الأشجار ومسطحات الخضرة التى تلطف من حرارة الجو الساخن .

فى الفندق كما فى باقى المحلات والأماكن العامة يجلس صوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد بآيات القرآن الكريم ، وهناك تنقسم شاشة التلفزيون قسمين أحدهما للمصحف بالعربية والآخر لترجمة المعنى باللغة الأوردية .

على جانب من الطريق لاحظت وجود جماعات من الجنود المدججين بالأسلحة وهم يقفون فى وضع الاستعداد ، وحين سألت قيل لى إنهم يحرسون منزل بطلهم عبد القدير خان الذى أتاح لباكستان امتلاك القنبلة النووية ، فتعادت مع جارتها اللدود : الهند ، فى صراعهما الذى لا يريد أن يهدأ ، ولذلك فإنهم حريصون جدا على حياة الرجل من أى اعتداء .

الجامعة الإسلامية العالمية تضم العديد من أبناء الدول الآسيوية وتقدم لهم تعليما مجانيا — يشبه ما كان يقوم به الأزهر الشريف لأمثالهم فى مصر — أما الأساتذة فمعظمهم من كلية دار العلوم . وبسبب الجوار بين باكستان وافغانستان ، فإن الطلبة يتابعون مجريات النشاط الأفغانى باهتمام كبير .

ولأن رئيس مجلس أمناء الجامعة هو نفسه رئيس الجمهورية ، فقد دعينا لزيارته فى القصر الجمهورى وتناولنا معه الغداء . والملاحظ أن القصر بسيط ، وكذلك الغداء ، أما استقبال الرجل لنا فكان حميما ، وحدثنا عن أهمية العلم والتعليم ، وعن رغبة باكستان فى النهوض بهما .

وعلى الرغم من أناقة العاصمة إسلام آباد وبحبوحة سكانها ، فإن الوضع المعيشى فى المدن الأخرى التى مررت بها لا يقاربها . فالكثير من المساكن عشوائيات ، والناس ياد عليهم الفقر ، وهم يملأون الأسواق لكنهم لا يكادون يشترون شيئا ! أقول هذا لأننى كنت أتوقع أن تنهض باكستان على كل المستويات وليس المستوى العسكرى وحده ، بينما ظلت المستويات الأخرى متخلفة كالجانب الماقتصادى والاجتماعى ، أو متقلبة كالجانب السياسى والحزبى إن عتابى لباكستان يأتى من أنها الدولة الإسلامية الوحيدة التى بدأت منذ انفضالها عن الهند سنة 1947 فى بناء نهضتها ، ولم يكن يعرقلها ماض ثقيل ولما ضغوط استعمارية سابقة ، مثل معظم البلاد الإسلامية الأخرى ، وهكذا كانت أمامها الفرصة كاملة لتقديم نموذج فريد لباقي الدول الإسلامية الأخرى ، ومع الأسف فإن ذلك لم يحدث .

لكننى لن أنسى أبدا زيارتى للمنطقة شبه السياحية التى تقع على قمة هضبة عالية جدا بجوار العاصمة ، واسمها : مارى . خرجنا من المدينة والجو حار ، وهناك فوق تلك القمة تجمدنا من البرد ، والمتقطنا بعض الصور والمسحب تتوالى تحت أبصارنا . أما الطريق المصاعد والمهابط ، وهو شديد الوعورة والضيق والمنحنيات ، فلو لمّا رحمة الله بنا وسائق السيارة المتمرس لما كنا اليوم فى عداد الأحياء !

[عودة](#)